



الإسلاموفوبيا - مواجهة عقدية

م. د. عثمان حسين علوان النداوي

كلية الامام الاعظم الجامعة/ قسم الفقه واصوله

(قدم للنشر في ٢٠٢١/٤/٤ ، قبل للنشر في ٢٠٢١/٥/٢٥)

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة ثقافية وفكرية عميقة الجذور في التاريخ وإن كانت ذات مصطلح حديث، وهي ظاهرة (الإسلاموفوبيا) المقصود بها التخويف من الإسلام وادعاء الطعون التي تصرف عوام الناس والجماهير غير المطلعة عن اعتناقه، وهذا البحث يقترح مواجهة هذه الظاهرة من الناحية العقدية من خلال التعريف بثوابت الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية، وبسط المنهج العقلي الذي يعتمد عليه الإسلام في بيان حقائق معتقده وإقناع الناس به.

Islamophobia Nodal confrontation

This research deals with a cultural and intellectual phenomenon deeply rooted in history, even if it has a modern term, and it is a phenomenon (Islamophobia) intended to intimidate Islam and claim appeals that distract ordinary people and uninformed masses from embracing it, and this research proposes confronting this phenomenon from a doctrinal point of view through definition With the constants of the Islamic religion and the Islamic faith, and the extension of the rational approach on which Islam relies in stating the facts of its belief and persuading people of it.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فإن ظاهرة التخويف من الإسلام وتبشيعه في نفوس العوام خصوصًا في أوربا قديمة جدًا، يرجع تاريخها إلى أوائل القرون الوسطى من تاريخ تلك القارة، تلك الظاهرة التي كان أول مظاهرها الحملات الصليبية على العالم الإسلامي التي بدأت في أواخر القرن الخامس الهجري، إلا أن ذروة العمل عليها وترسيخها في نفوس الناس كان بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ)^(١).

وبالرغم من أن ظاهرة الخوف أو التخويف من الإسلام ضاربة بجذورها في عمق التاريخ إلا أن المصطلح (إسلاموفوبيا) هو من المصطلحات الحديثة التداول نسبيًا في الفضاء المعرفي المعني بصورة خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب؛ فإن أول إطلاقه كان في عام (١٩٩٦م) على يد ما يُعرف باسم (لجنة المسلمين البريطانيين والفوبيا من الإسلام)^(٢).

(١) ينظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، دار المندي - جدة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، (ص ٣٦).
(٢) ينظر: بحث بعنوان (الإسلاموفوبيا العالمية.. قراءة في المفهوم والمسار)، د. إدريس مقبول، ضمن أعمال الندوة الدولية (ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبل التعامل معها)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، (ص ٦٧).

وشيوخ هذه الظاهرة وقوة الدعاية إليها في عالمنا المعاصر وخصوصا في دول أوربا مثل فرنسا والسويد مثلا يستلزم تضافر الجهود العلمية لمواجهتها على كل الأصعدة العلمية والدعوية، ومن أهم هذه الأصعدة الصعيد العقدي، وذلك لأن الإسلام في أساسه هو العقدي كما قال تعالى في أوائل آيات كتابه قال تعالى: { والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون } أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون^(١)؛ فجعل الإيمان الذي هو هو الاعتقاد مناط الهدى والفلاح، وكما روي عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيمانًا"^(٢)؛ فالإيمان الذي هو الاعتقاد قبل كل شيء.

ولذا فإن أولى خطوات مواجهة هذه الظاهرة هي المواجهة العقائدية، والتي في سبيلها يأتي هذا البحث المرجو منه أن يكون دفعة مهمة في طريق مواجهة هذه الظاهرة المعاصرة المتنامية في الانتشار.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، على النحو

الآتي:

- المقدمة: وفيها تعريف بالموضوع وأسباب اختياره.

- التمهيد: تعريف ظاهرة الإسلاموفوبيا.

^(١) ((سورة البقرة، الآيتان: (٤، ٥).

^(٢) ((أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، (١/ ٢٣)، رقم (٦١) بإسناد صحيح.

- **المبحث الأول:** المظاهر العقائدية للإسلاموفوبيا.

- **المبحث الثاني:** المواجهة العقائدية للإسلاموفوبيا.

التمهيد

تعريف ظاهرة الإسلاموفوبيا

أما الإسلام فهو دين الله تعالى الذي بعث به نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، وهو الدين الذي ارتضاه الله -عز وجل- لعباده، كما قال تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١)، وأما المصطلح (فوبيا Phobia) فهو أحد مصطلحات علم النفس، وهو وصف لحالات (الرهاب) المرضية، وهي الخوف غير المبرر من مصادر أو أشياء معينة^(٢).

يطلق مصطلح (الإسلاموفوبيا Islamophobia) بين دوائر الثقافة الغربية وكتابها على سياسة التخويف من الإسلام والمسلمين وفق خطط مرسومة يقوم بها نفر من المنظرين من قبل ما يعرف بالمحافظين الجدد لتحويلها إلى ظاهرة نفسية تتحكم بالرأي العام الغربي^(٣)، وهي ظاهرة

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٢) ينظر: معجم مصطلحات الطب النفسي، د. لطفي الشربيني، مركز تعريب العلوم الصحية - الكويت، (ص١٣٨).

(٣) ينظر: حمى الإسلاموفوبيا، مجلة البيان، العدد (٢٢٩)، (ص١).

صنعتها وسائل الإعلام المعادية، والدوائر الصهيونية والصليبية على حدٍ سواء، وتجلت في حرب إعلامية، وتشويه متعمد، وحرب على المآذن والمساجد والحجاب الإسلامي في أوروبا وأمريكا^(١).

وبعيدا عن علاقة هذا المصطلح بالسياسة العالمية في الوقت الحاضر فإن ظاهرة التخويف من الإسلام وتبشيعه في نفوس العوام خصوصاً في أوروبا قديمة جداً، يرجع تاريخها إلى أوائل القرون الوسطى من تاريخ تلك القارة، تلك الظاهرة التي كان أول مظاهرها الحملات الصليبية على العالم الإسلامي التي بدأت في أواخر القرن الخامس الهجري، إلا أن ذروة العمل عليها وترسيخها في نفوس الناس كان بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ)^(٢).

وقد كان رجال الكنيسة في أوروبا هم أو من قاموا بهذا العمل؛ فقد كان من أهم مرتكزاتهم تشويه الإسلام عقيدة وسلوكاً، والزراية برسول الله -صلى الله عليه وسلم- مستهدفين بذلك تحصين الغرب النصراني من المد الإسلامي، والحيلولة دون انتشار الإسلام وعقيدته على حساب النصرانية، ومن أجل هذا لم تأل الكنيسة جهداً في تشويه الإسلام، من خلال الدس والتزوير والافتراء وانتهجت في ذلك المجادلات البيزنطية، التي واجهت بها الكنيسة الشرقية الإسلام^(٣).

(١) ينظر: فقه النوازل للأقليات المسلمة، د. محمد يسري إبراهيم، دار اليسر - القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣هـ، (ص٧).

(٢) ينظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، ص٣٦.

(٣) ينظر: تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، دار الحدائث - لبنان، ط٢، ١٩٨٨م، (ص٣٥).

وقد كان هدف رجال الكنيسة من إشاعة هذه الظاهرة تجييش الجيوش من العوام في أوروبا لغزو دار الإسلام واستعادة البلاد التي فتحها المسلمون وكانت تحت سيطرة الكنيسة الغربية، ابتداء من الأندلس، وحتى القسطنطينية، ثم الاتجاه إلى الشرق الإسلامي طمعا في الاستيلاء على ثرواته ومنجزاته الحضارية والعلمية بقوة السلاح.

ثم حمل الراهب بعد رجال الكنيسة في نشر تلك الظاهرة -ظاهر التخويف من الإسلام وتبشيعه وتشويه صورة نبيه صلى الله عليه وسلم- طائفة عُرفت في الدراسات الحديثة باسم (المستشرقين)، أي: طبقة المتقنين الأوروبيين المعنيين بدراسة علوم الشرق الإسلامي وثقافته وحضارته، وبالطبع دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين؛ لخدمة أغراض التبشير من جهة، وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى.

وقد عمل المستشرقون -تحت سلطة الكنيسة في أوروبا- على تشويه الإسلام في نظر العوام في أوروبا وتخويفهم من مبادئه وقيمه، غير أن عمل المستشرقين في هذا اختلف عن عمل الرهبان ورجال الكنيسة في أنه كان -في الظاهر فقط- ذا مسحة علمية وطابع أكاديمي^(١).

غير أن هذا الظاهرة -وهذه المصطلح تبعا له- قد اتسع انتشارها وبلغ ذروته مع هجمات الحادي عشر من سبتمبر سنة (٢٠٠١م) التي تسببت في انهيار برجي مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فعقب هذا الهجوم أعلن مسئول الحقوق المدينة في منظمة (كير) الأمريكية أنه تلقى أكثر من (١٤٥٢) تقريرا عن حالات اعتداء على حقوق وحرقات المسلمين

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني، دار القلم - دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، (ص ١٢٠).

في أمريكا منذ الحادي عشر من سبتمبر وحتى العشرين من نفس الشهر، وشملت حالات الاعتداء (٢٦٥) اعتداء جسديا، وتخريبا للممتلكات، و(٣٣٥) تحرشا في الأماكن العامة، و (٢٦٢) رسالة كراهية، و(١٧٨) اعتداء من رجال الأمن وقوات المباحث الفيدرالية^(١).

وساهم الساسة الأمريكيون وقتئذ في تعميق هذه الظاهرة وتوسيع نطاقها وخصوصا في الحزب الجمهوري الأمريكي الحاكم وقتها، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي وقهتها (جورج بوش) ومساعدوه من أمثال (ديك تشيني) نائب الرئيس الأمريكي ووزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) المكلفان بإدارة السياسة الخارجية الأمريكية، ومن ورائهما مخططون بارزون منهم (كارل روف) و (بول وولفويتز) وهما من أعدى أعداء الإسلام^(٢).

وقد تعددت الترجمات العربية لمصطلح الإسلاموفوبيا، واختلفت هذه الترجمات في تحديد المعنى المقصود منه بدقة؛ فذهب بعضهم بأن المقصود منه رفض الإسلام كديانة وكطريقة حياة وكمشروع تعتمد طائفة من السكان بوصفه مناقضا للعقل، ويصطدم مع النتائج الحتمية للعلم التجريبي، ومنهم من ذهب إلى أنه الخوف من التواصل مع المسلمين ورفض الحوار والتبادل معه؛ فيتوجه الرفض لمعتقي الديانة لا للديانة نفسها^(٣).

^(١) ينظر: الإسلاموفوبيا .. جماعات الضغط الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، د. ريا قحطان الحمداني، العربي للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، (ص١٤٦).

^(٢) ينظر: حمى الإسلاموفوبيا، (ص١).

^(٣) ينظر: إشكالية الخوف من الإسلام بين الرؤية الغربية والواقع الإسلامي، فائز صالح محمود اللهيبي، دار النهج للدراسات والنشر - حلب، ط١، ٢٠٠٩م، (ص٧).

وقد أيد صامويل هنتجون الاتجاه الأول؛ حيث يقول: "مشكلة الغرب ليست مع الأصولية الإسلامية، بل مع الإسلام"^(١)، وهو يعني بذلك أن الغرب يخشى الإسلام ليس بسبب بعض الممارسات التي يقوم بها بعض المسلمون، كالتفجيرات وخطف الرهائن وغير ذلك، بل الغرب يخشى من الإسلام كإسلام؛ لأن الإسلام يحمل في ثناياه أشياء كامنة تتسبب في سرعة انتشاره^(٢)، وهذه الأشياء الكامنة تتمثل في أمرين: الأمر الأول: أنه موافق للفطرة الإنسانية؛ فالإنسان يميل إليه -بقلبه وذوقه على أقل تقدير إن لم يكن بجوارحه- دون إرادة منه، ودون قصد وتعمد.

^(١) صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجون، ترجمة: طلعت الشايب، شركة سطور للنشر - القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م، (ص٣٥٢).

^(٢) ينظر: الخوف الغربي من الإسلام .. أسبابه ووسائله وآثاره (رسالة ماجستير)، رائد أحمد غنيم، الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، (ص٢).

كما قال تعالى: { فطرت الله التي فطرَ الناس عليها }^(١)(٢).

والأمر الثاني: موافقته للعقل السليم وتأييده بالعلم والحكمة، والبرهان والحجة، ولا أدل على

ذلك من أن العقل باسمه وأفعاله قد ذكر في القرآن الحكيم حوالي خمسين مرة^(٣).

المبحث الأول

المظاهر العقائدية للإسلاموفوبيا

أولاً - الطعن في رسالة الإسلام والتشكيك بنبوة الرسول (عليه الصلاة والسلام):

منذ انبعاث رسالة الإسلام لم تكذ تتوقف الأصوات التي تشكك بصحة تلك الرسالة وصدق صاحبها -صلى الله عليه وسلم- فكما هو معلوم تعرض الإسلام منذ بزوغ نجمه إلى حملة شرسة من جانب كثير من قبائل العرب واليهود لمحاربتة وإجهاض دعوته؛ حيث أسند إلى الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- الكثير من الصفات والنعوت الباطلة التي تطعن فيه على

^(١) سورة الروم، الآية: (٣٠).

^(٢) ينظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، (١/ ٢٥٤).

^(٣) ينظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، (ص١٧٦).

المستوى الشخصي، وترميه بالكذب والجنون والكهانة والسحر والاستبداد والتهاك على الشهوات... إلخ^(١).

وبطبيعة الحال لم تقف تلك الاتهامات المغرضة عند حدود الرسول -صلى الله عليه وسلم- بل تعدته لتطال الإسلام أيضًا، الذي اتهم من بعض الحاقدين بأنه دين مادي لا يأخذ الأبعاد الروحية بعين الاعتبار، وأنه دين دموي قام وانتشر بقوة السيف، وأنه دين يخلو من الأصالة فيسرق أفكاره من الأديان السابقة عليه كاليهودية والمسيحية... إلخ.

وفي الواقع فإن من نافلة القول إن من المحال الفصل بين الإسلام ورسوله، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- هو صاحب الدعوة إلى الإسلام وهو رمزها الأهم وهو التجسيد العملي لتعاليمها؛ ومن ثم فإن الإساءة إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن إلا أن تعد إساءة للإسلام نفسه، والعكس صحيح بكل تأكيد^(٢).

وكأمثلة عارضة على ما تقدم كان التنويري الفرنسي الشهير (فولتير) قد نشر في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي كتاباً بعنوان: (التعصب أو النبي محمد)، وصف فيه الرسول الكريم بأنه "منافق وخداع ومحب للملذات الجسدية ومستبد"^(٣).

^(١) ينظر: بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للحرضي، دار صادر - بيروت، (ص ٨٠).

^(٢) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، ط ١، ١٤٢٧هـ، (ص ١١٠).

^(٣) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١٠، (ص ٧٢).

وقبل ذلك بقرون أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كانت ملحمة (الكوميديا الإلهية) لكاثبها (دانتي أليغري) قد تناولت على شخص رسول الإسلام وصورته بما لا يليق به^(١)، وهو ما كرر فعله قبل عدة سنوات الكاتب الهندي سلمان رشدي عندما نشر سنة (١٩٨٨م) روايته الشهيرة (آيات شيطانية)، التي حظيت وصاحبها وما يزالان بدعم الغرب وحمایته وتكريمه، بدعوى الانتصار لحرية التعبير^(٢).

وتأتي الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة (يولاندر بوسطن) الدنماركية في الثلاثين من شهر أيلول عام (٢٠٠٥م) لتتضاف إلى قائمة الإساءات المتعمدة ضد الإسلام ورموزه؛ فقد نشرت تلك الصحيفة ١٢ رسماً هزلياً للرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وصفت من جانب الكثيرين بأنها في منتهى الصفاقة والانحطاط، واقترن نشر تلك الرسوم مع مقال لرئيس تحرير الصحيفة يعرب فيه عن دهشته واستنكاره لهالة القداسة التي يتوج بها المسلمون نبيهم، معتبراً أن ذلك لا يعدو كونه ضرباً من ضرب الهراء المستند إلى جنون العظمة، وداعياً إلى التحلي بالشجاعة للإقدام على كسر ذلك (التابوت)، عن طريق فضح (التاريخ المظلم) لصاحب الرسالة الإسلامية، وإبراز حقيقته إلى الرأي العام العالمي^(٣).

^(١) ينظر: الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، عبد المجيد حامد صبح، دار المنارة - القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (ص ١٤٠).

^(٢) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد حسين العفاني، دار ماجد عسييري - جدة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، (٢ / ٧٥).

^(٣) ينظر: إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال: من يكره من؟، فهمي هويدي، جريدة الشرق الأوسط، العدد (٩٩١٣)، ٢٠٠٦م.

ويجدر التنويه إلى أن تلك الرسومات لا تعد الأولى من نوعها، فهي ليست إلا حلقة في سلسلة ممتدة من الحلقات التي لا تريد أن تنتهي؛ فعلى سبيل المثال نشرت إحدى دور النشر البريطانية عام (٢٠٠١م) كتابًا لمؤلف يدعى (عبد الله عزيز)، يتضمن صورًا هزلية في منتهى السخرية والتناول على عقيدة المسلمين وقرآنهم وسنة نبيهم؛ إذ عرضت تلك الصور بمنتهى الفحش والابتذال النبي الكريم وزوجته عائشة وبعض الصحابة أثناء تطبيقهم العديد من تعاليم الإسلام وأحكامه، بل إنها تجرأت على تصوير الذات الإلهية على شكل هلال يجلس على كرسي، ويقوم النبي محمد (عليه السلام) بالسجود له^(١).

ثانيًا - الدعوة إلى استبدال النصرانية بالإسلام (التنصير):

ربما كان من الجائز القول إن هناك علاقة طردية بين ازدياد المخاوف الغربية من الإسلام وتساعد وتيرة الأنشطة التنصيرية التي يلجأ إليها، وكأن في السعي إلى تنصير المسلمين وإدخالهم في (المحبة المسيحية) شكلاً من أشكال الحيل الدفاعية للتعويض عن كراهيتهم!. فعلى سبيل المثال، وقبل أن يمضي وقت طويل على جفاف حبر المعاهدة التي وقعتها مملكة إسبانيا مع الأمير (أبو عبد الله الأحمر) آخر أمراء غرناطة سنة (٨٩٧هـ)، تم إنشاء ما عرفت تاريخياً

(١) ينظر: Aziz, Abdullah. Mohammed's Believe it or Else!, Kent: Crescent Moon Publishers, 2001.

بمحاكم التفتيش، التي تورطت باقتراف كثير من الفظائع والمجازر بغية إجبار المسلمين على ترك دينهم واعتناق الديانة المسيحية^(١).

وكان أول ما قامت به تلك المحاكم هو جمع كل المصاحف والكتب العلمية والدينية وإحراقها على الملأ في ساحة عامة، كخطوة أولى لتنصير المسلمين بقطع صلتهم مع كتبهم الدينية والتراثية والعلمية، ثم عمدت عقب ذلك إلى تحويل المساجد إلى كنائس، وإجبار من تبقى من الفقهاء وأهل العلم على التنصر، ليوافق بعضهم مكرهاً ويواجه بقيتهم القتل شر قتلة، مع التمثيل بجثث الضحايا، وذلك لبث الهلع في صفوف المسلمين وإيصال رسالة لهم مفادها التخيير بين التنصر أو التعذيب والقتل وسلب الأموال والممتلكات^(٢).

أما في عالم اليوم فتشهد عملية التنصير نشاطاً محموداً في العالم الإسلامي، وبخاصة في البلدان الفقيرة التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي، التي يؤمن الغرب أنها تشكل بيئة مناسبة لتفريخ ما درج على اعتباره إرهاباً؛ ففي أفغانستان وحدها على سبيل المثال، التي تولت الولايات المتحدة الأمريكية قيادة حملة عسكرية شعواء لإسقاط نظام طالبان الإسلامي فيها بذريعة دعمه للإرهاب، هناك حالياً ما لا يقل عن (١٠٠٠) منظمة أمريكية وأوروبية تعمل في مجالات الإغاثة والتنمية، يمارس كثير منها أنشطة تبشيرية مختلفة. الأمر الذي دفع القس (بن هومان) رئيس إرسالية التنصير المسيحي المجرية إلى أن يصرح في عام (٢٠٠٣م)، وبعد زيارة

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٦م، (ص ١٦٧).

(٢) ينظر: السابق نفسه، (ص ١٦٧).

استطلاعية استغرقت شهراً كاملاً عن اعتقاده بنجاح (عقيدة التثليث) في تثبيت أقدامها، وعن
إمكان نجاح برنامج التصير في أفغانستان^(١).

المبحث الثاني

المواجهة العقائدية للإسلاموفوبيا

يمكن تحديد أهم الخطات للمواجهة العقائدية للإسلاموفوبيا في أمرين:

أولاً - التعريف بحقائق الإسلام من خلال الإعلام:

يُعتبر الإعلام في الدول الحديثة السلطة الرابعة في الدولة، وذلك لأهميته الكبيرة في كشف
ما استتر من الفساد، والسواد المنتشر في الدولة؛ فهو إعلام جريء قادر على كشف فساد
الحكومات والأفراد، ولا يحابي الشعب أو الحكومة على حساب ضميره، بل يُسمعهم ما يحتاجون
إليه^(٢).

لذا فما أحوجنا اليوم -نحن المسلمين- إلى إعلام إسلامي متميز، يعمل على بيان الحق،
ويكشف عن وجوه الباطل، ويحمي شبابنا من هذا الغزو الفكري الإعلامي الغربي، الذي يجتاح
العالم الإسلامي، ويسري فيه كسريان الدم في العروق، واو يُحقق لنا أي شيء، سوى أن نتعلم

(١) ينظر: أخطبوط التصير يجتاح أفغانستان، حفيظ الرحمن الأعظمي، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني
(الحقائق).

(٢) ينظر: دور الإعلام في التضامن الإسلامي، إبراهيم إمام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ/
١٩٨٤م، (ص ٢٦١).

مبادئ وقيماً بعيدة عن صدق الكلمة وإيثار الحق، وهُدَامَة لِكُلِّ المبادئ الأخلاقية والقيم الإسلامية المثلَى^(١).

والمقصود من الإسلامي تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، وبواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها؛ وذلك بغية تكوين رأي عامٍ صائبٍ، يعي الحقائق الدينية ويدركها، ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته^(٢).

كما أن استغلال المحافل والمؤتمرات وغير ذلك من التجمعات التي يجتمع فيها غير المسلمين في دعوتهم إلى دين الله تعالى -أسلوب دعوي يمكن القول بأن أو من سنه هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد صح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعرض دعوته على وفود العرب المشركين الذي يأتون إلى مكة في موسم الحج^(٣)، كما كان -صلى الله عليه وسلم- يتحرى أماكن اجتماع المشركين ليدعوهم إلى دين الإسلام كالأندية والأسواق المشهورة في

^(١) ينظر: الهادي، محمد زين، حاجتنا إلى إعلام إسلامي (رسالة دكتوراه)، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، (ص ١٤).

^(٢) ينظر: الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، آراء في الإعلام الإسلامي، دار عالم الكتب - الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ، (ص ٩).

^(٣) ينظر: البيهقي، شعب الإيمان، (١ / ٢٨٨)، ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط ١، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، (٢ / ٤٤).

الجاهلية؛ فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم- أنه كان يمشي في سوق ذي المجاز -أحد أشهر أسواق العرب في الجاهلية- ويقول: {قولوا لا إله إلا الله تفلحوا}^(١).

كما روي عنه صلى الله عليه وسلم- أنه لم أمر لا لجهر بدعوته التي كانت سرية بقول الله عز وجل: {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}^(٢) أخذ ينادي في قبائل قريش أن تجتمع في صعيد واحد فيما يشبه الاجتماع العام أو المؤتمر الجامع، ثم عرض عليهم دعوته بعد أن اجتمعوا في صعيد واحد، وقال لهم: «أرأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جرئنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(٣).

وفي القرآن الكريم في معرض الحديث عن دعوة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم- نجد مثلاً في قصة نبي الله موسى -عليه السلام- أنه اختار موعداً يجتمع فيه الناس ليظهر أمامهم المعجزات التي أيده بها ربه؛ قال تعالى {فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى} قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴿فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى﴾^(٤)؛ فقد ذكر المفسرون أن نبي الله موسى -عليه السلام-

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٢٥ / ٤٠٤)، رقم (١٦٠٢٢)، والإمام الطبراني في المعجم الكبير، (٥ / ٦١)، رقم (٤٥٨٢).

(٢) سورة الحجر، الآية: (٩٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (٦ / ١١١)، رقم (٤٧٧٠).

(٤) سورة طه، الآيات: (٥٨ - ٦٠).

قد اختار يوم الزينة لأنه يوم عيد لهم، أو كان أحد أيام أسواقهم التي يجتمعون فيها؛ ولذا فقد جعل من علامته (أن يُحشر الناس فيه) أي: يجتمعون اجتماعا عاما يشملهم^(١).

ثانياً - التعريف بالمنهج العقلي للإسلام:

إن القرآن الكريم حينما خاطب الناس لم يخاطبهم الخطاب العاطفي الذي لا يحاور العقل، وإنما خاطبهم الخطاب العقلي الذي عجزوا عن الرد عليه، وطلب منهم النظر في الكون أولاً قبل الإيمان حتى يؤمنوا عن قناعة قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنَّذْرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ثم ناقش هؤلاء الذين ينكرون وجود الخالق الذي خلقهم قال تعالى ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣)^(٤).

وهذا المنطق العقلي يقول: كل موجود لأبد له من موجود، وكل حادث لأبد له من محدث،

تحدى الله الإنسان وبيّن له أنه يجهل ما في نفسه^(٥).

^(١) ينظر: تفسير مجاهد، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، (ص ٤٦٣)، مكي بن أبي طالب الأندلسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الإمارات، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (٧ / ٤٦٥٤).

^(٢) (سورة يونس الآية (١٠١))

^(٣) (سورة الطور، الآية: (٣٥)).

^(٤) ينظر: الأصولان في علوم القرآن، محمد عبد المنعم القيعي، دار التوحيد - مصر، ط٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، (ص ٣٥٤)، علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح - دمشق، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، (ص ٢١٢).

^(٥) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، (١ / ٧٠٣).

ولابد من الاهتمام بالتربية العقائدية وغرس محبة الله ورسوله في نفوس الناشئة، فهذه التربية هي التي تجعل بينهم وبين الإلحاد سداً منيعاً، فالإيمان إذا استقر في النفوس يجعل الإنسان يصبر على حرارة النار ولا يتحمل الكفر بالله، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

هذه التربية هي مسئولية الحاكم باعتبار أنه الراعي، ومسئولية الآباء والأمهات تجاه الأبناء؛ فقد بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن المجتمع الإسلامي ليس فيه أحد يخلوا من المسئولية؛ فقال: «كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسئولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسئول عن رعيته»^(٢).

لقد جاء الدين الإسلامي بالأسس المتكاملة والنظام الكامل الذي يقوم عليه المجتمع المسلم، وهو نظام يمتاز بالشمول والواقعية، ويضمن سير الحياة فيه على وجه يحقق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافة أفرادها، كما يمنحهم الفرصة بالمشاركة في التنمية الحضارية، مما يدفع

^١ () أخرجه البخاري في صحيحه، (١٢/١)، رقم (١٦). ومسلم في صحيحه، (١/٦٦)، رقم (٤٣).

^٢ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٣/١٥٠)، رقم (٢٥٥٨)، ومسلم في صحيحه، (٣/١٤٥٩)، رقم (١٨٢٩).

المجتمع إلى مستوى رفيع من الإنتاج الاقتصادي والزراعي والتجاري والصناعي، وفي كافة المجالات^(١).

وبهذا يحصل التوازن في سعي الناس في المجتمع المسلم بين قيامهم بمتطلبات العبودية التي من أجلها خلقوا، وبين كدحهم في استثمار واستغلال ما سخّره الله لهم على الأرض طلباً للرزق ومتطلبات الحياة، وهم في سيرهم في كلا الأمرين يُحكمون بمنهج ونظام رباني يسترشدون به في كل ما يأتون أو يذرون، فيأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم، ويباعدتهم عن سبيل الضلال وظلمات الجاهلية^(٢).

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- (١) ظاهرة (الإسلاموفوبيا) وإن كانت حديثة المصطلح إلا أنها قديمة الوجود والمبدأ، وإن كانت في العصور القديمة تتخذ أشكالاً ومناهج مختلفة.
- (٢) (الإسلاموفوبيا) في الأساس ليست مناقشة موضوعية للعقيدة الإسلامية والرسالة المحمدية، وإنما هي طعون لا تنبع من تتبع هادئ واستقراء تام.

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية - جدة، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، (٢ / ١٢٥٩).

(٢) ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، (٢ / ٥٤١).

٣ (الإسلاموفوبيا) تمثل بوابة رئيسية للتصير من خلال الطعن في الديانة القادرة على غزو الأغلبية المسيحية في عقر ديارها، وتحويل أتباعها.

٤ (الدين الإسلامي منهج متكامل، وهو كما يعتمد على الوحي من خلال الكتاب والسنة يعتمد كذلك على المنهج والإقناع العقليين).

قائمة المصادر والمراجع

- ١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، دار القلم - دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٣) الإسلاموفوبيا .. جماعات الضغط الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، د. ربا قحطان الحمداني، العربي للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- ٤) إشكالية الخوف من الإسلام بين الرؤية الغربية والواقع الإسلامي، فائز صالح محمود اللهيبي، دار النهج للدراسات والنشر - حلب، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٥) الأعلان في علوم القرآن، محمد عبد المنعم القيعي، دار التوحيد - مصر، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ٦) أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد حسين العفاني، دار ماجد عسيري - جدة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- (٧) بحث بعنوان (الإسلاموفوبيا العالمية.. قراءة في المفهوم والمسار)، د. إدريس مقبول، ضمن أعمال الندوة الدولية (ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبل التعامل معها)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- (٨) بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للحرضي، دار صادر - بيروت.
- (٩) تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، دار الحداثة - لبنان، ط٢، ١٩٨٨م.
- (١٠) تفسير مجاهد، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- (١١) حاجتنا إلى إعلام إسلامي (رسالة دكتوراه)، محمد زين الهادي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
- (١٢) الخوف الغربي من الإسلام .. أسبابه ووسائله وآثاره (رسالة ماجستير)، رائد أحمد غنيم، الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- (١٣) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- (١٤) الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، عبد المجيد حامد صبح، دار المنارة - القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (١٥) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (١٦) الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، آراء في الإعلام الإسلامي، دار عالم الكتب - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- (١٧) صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجون، ترجمة: طلت الشايب، شركة سطور للنشر - القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.
- (١٨) علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح - دمشق، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.



مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١٧، العدد (٢)، لسنة ٢٠٢١

College of Basic Education Researchers Journal

ISSN: 7452-1992 Vol. (17), No.(2), (2021)

١٩) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠) فقه السيرة، محمد الغزالي، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢١) فقه النوازل للأقليات المسلمة، د. محمد يسري إبراهيم، دار اليسر - القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣هـ.

٢٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط١٠.

٢٣) محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٦م.

٢٤) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية - جدة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٥) معجم مصطلحات الطب النفسي، د. لطفي الشربيني، مركز تعريب العلوم الصحية - الكويت.

٢٦) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب الأندلسي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الإمارات، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٧) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٨) Aziz, Abdullah. Mohammed's Believe it or Else!, Kent: Crescent Moon Publishers, 2001.